الفصل التاسع

شعر العشماوي

تحت مجهر التصور الإسلامي

صفحة بيضاء ١٧٤

شعر العشماوي تحت مجهر التصور الإسلامي

بعدما عرفنا مكونّات شخصية هذا الشاعر، والعوامل المؤثرة فيها، بقي لنا أن نعرف مدى مطابقة شعره للتصور الإسلامي، فلنضع شعره إذن تحت مجهر هذا التصور، ولنبدأ بـ

نظرته إلى الإنسان

الإنسان في التصور الإسلامي جسد وروح ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾**﴾ [**الحجر**: ٢٨ – ٢٩].

وجوهر الطبيعة الإنسانية في القرآن أنَّها مفطورة على التوحيد ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾ [**الروم**: ٣٠].

فالأصل في الإنسان الخير، وقد تعتريه بعض الشرور، ولعلَّ هذه الفطرة هي السبب في حمل الإنسان أمانة التكليف ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴿٧٢﴾**﴾ [**الأحزاب**: ٧٢].

فالإنسان في القرآن مجبول على التوحيد، فطبيعته الأصلية خيِّرة، ثُمَّ قد ينحدر إلى الشر، وذلك لقابليته للاختيار، وليس معنى هذا أنَّه خير مطلق، بل أنَّ لديه ما يفعل به من الخير والشر، وهو في ذلك محكوم بالتربية والتنشئة: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ**

خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧ – ١٠].

والإسلام عندما أقر بمادية الإنسان وحيوانيته لم يجعل أحدهما يطغى على الآخر؛ إذ وازن بينهما،وجعل الغاية العليا من خلق الإنسان عبادة الله: **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].**

وقال جل شأنه: **﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد: ٢٧].**

وقال أيضاً: **﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧]**

وقال جلَّ شأنه في سورة المائدة: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].**

فهذه الآية تبين لنا كيف وازن الإسلام بين المادة والروح فلا يبخس للجسد حقاً ليوفي حقوق الروح فيُحرِّم المباح، ولا يبخسُ للروح حقاً ليوفي حقوق الجسد فيبيح المحرَّمات، وهنا تتجلى معجزة الإسلام في مراعاته لفطرة الإنسان؛ إذ وازن بين رغباته الحيوانية، وسموه الملائكي، هذا وقد أوضحتُ في فصل سابق الإنسان في التصور الإسلامي

السؤال هنا ما هي نظرة الشاعر عبد الرحمن العشماوي إلى الإنسان؟

إنَّ نظرة هذا الشاعر المسلم إلى الإنسان لم تتجاوز حدود ونظرة الإسلام له؛ إذ نجدها التزمت بالتصور الإسلامي، فهاهو في قصيدة "من أنت؟" في ديوان " حوار فوق شراع الزمن:

مـنْ أنـت؟ تـســـــــألـنـــي فـــــــقـلـ

تُ لـهـــــــا أنـــا جـــــــســـــــد وروح

أنـا شـــــاعـــــرٌ يشـــــدو ويـقـــــتـل

... يـأســـــــــه أمـل فـــــــســـــيح

ويــرى الجـــــمـــال فـــــيـنـتـــــشـي

لـــكـنـــه لا يـســـتـــــــبـــــــيـح

أنـــا ذلـك الإنـســـــــــــانُ يـســـري

.. فـي تـواضـــــــعـــــــه الـطُّـمـــوح

فهو إذن إنسان من جسد وروح استطاع إن يوازن بين رغبات جسده وروحانية روحه؛ إذ ينتشي بالجمال، ولكنه لا يستبيح ما حرَّمه الله، فهناك ضوابط أوجدها الإسلام لضبط النزوات دون كبتها، ويقول في قصيدة "صراع مع النفس " من ديوان " إلى أمتي "

كلـنـا مـــــــخـطـئـــــون لـكـن عـلـيـنـا

أن نـروم الـهـــــدى ونبـــــغـي الســـــدادا

بـشـــــر شـــــأنـه الـتـــــقـلـب لـكـن

واجـبٌ أن يـحـطِّـــم الأصـــــــــــفـــادا

وجـــهـــادُ الفـــتـى مع النَّفس صـــعـبٌ

هـي تـبـــــــغـى حـــــــريـة وعـنـــادا

وهو يبـــغي الســـمـــو صـــعبٌ عليـــه

أن يضـــل الطـريق أو يتـــــمـــــادى

ثُمَّ يتحدث عن سمو الروح في قصيدة " أغنية الصمت الرهيب " فيقول:

أنفـــــسنـا بـالـروح تســـــمـــــو ومـا

أجـــــســـــامنـا إلاَّ كـمـــــثل الإطـار

ويقول في قصيدة " رؤى الصمت " في ديوانه " إلى حواء "

يـا قـلـبـي الـشـــــاكـي أمـــــا زلـت فـي

شـــكٍّ مـن الـنـفـــس ونجـــــــواهـــا؟

تـريـد أن تـقـــــــتـل مـنـهـا المـنـــى

ولـم تـــزل تجـــــــهـل. مـــغـــزاهـــا؟

تـريـدهـا تـشـكـو إلـى غـــــيـــــر مـن

بـــث المنـــى فـــــيـــــهـا وسـوَّاهـا؟

مُـــبـــدعُـــهـا ألهـــمـــهـــا ـ قـــادراً

فُـجـورهـا حـــــــيـنـاً وتـقـــواهـا

نفـــــسي التي مـــا خـــادعت مـــرةً

لا تـــشـــــــتـــكـــي إلاَّ لمـــولاهـــا

من هذا العرض السريع لبعض قصائد الشاعر العشماوي تبين لنا أنَّ في نظرته للإنسان لم يخرج عن التصور الإسلامي، بل التزم به، كما نلاحظ أنَّه اقتبس من القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨** ﴾، فقال العشماوي عن النفس

مُـبـدعـهـا ألهـمـهـا ـ قـادرا.

فـجـورهـا حـيـنـاً وتـقـواهـا

كما نجد أنَّ نظرته إلى المرأة كإنسان لم يخرج عن التصور الإسلامي؛ إذ احترمها وقدَّرها وجعلها رمز العفة والوفاء، ولم يمتهنها، ولم يبتذلها أو يصفها وصفاً حسياً، أو يشير إلى الجنس بعبارات صريحة كنزار قبَّاني، وغيره، أو كعمر أبي ريشة؛ إذ يحاول البعض أن يقللوا من شأن الشاعر العشماوي، لأنَّه شاعر ملتزم بالتصور الإسلامي فاتهموه بالتقليد لعمر أبي ريشة، وهذا يخالف الحقيقة، فإن كان عمر أبو ريشة كتب شعراً إسلامياً، أو لم يبتذل المرأة ـ كما يقولون ـ فإنّه ليس كشعر العشماوي الذي يقطر جميعه بالإيمان، فإن أردت عصر شعره عصراً، فلن يخرج لك إلاَّ إيماناً، هذه حقيقة فلا تكاد تخلو قصيدة له من ذكر الله وحب الله والخوف من الله، وخلق القرآن وسلوكه وآدابه، فهو بحق شاعر العفة والطهر والإيمان، أمَّا عمر أبو ريشة عندما نقرأ شعره نجد في بعضه قد أمتهن المرأة أيَّما امتهان، بل نجد في بعضه عبارات جنسية ما كان ينبغي أن ينطق بها أو يوردها،وأقرب مثل على هذا قصيدته "ليلة " التي يتحدث فيها عن علاقة غير شرعية، وفيها إشارات إلى شرب الخمر في البار أو الحانة؛ إذ يقول:

قلت مـــا تشـــعـــرين؟ مـــا زالت الحـــانة

هـذي بصـــــحـــــبـــــهـا مـــــأهـولـة

ربمـا كـــــــأســـــــهـا نـفـض شـذاهـا

ربمـا شـــــوقـــــهـــــا تـبـلُّ غـلـيـلـه

ولم يتوقف عند هذا الحد؛ فإذ به يقول:

ونـهـــــضـنـا .ولـم نـخـــــيِّـب لـه ظـنـاً

وســـــــــــرنـا والـلـيـل يـطـوي ذيـولـه

وبلغنا الكوخ الصـــغـــيـــر. تخـــيِّـرت

ســـــريـري. لم تســـــتـطـيـــبي بـديـلـه

وتـهـــــادى مـــــا بـيـنـنـا مـن حـــــجـاب

فـــــانـتـــــشـى دول ورفـت خـــــمـــــيـلـه

ولنقارن بين هذا المعنى الموجود في قصيدة أبي ريشة وبين معنى هذين البيتين للعشماوي؛ إذ يقول العشماوي:

يـا وردة مـــــا اســـــتـطـعـتُ ألمســـــهـــــا

أخـــــشى بأن يـفـــــســـــدهـتـــــا اللـمـس

للطهـــــر في أعـــــمـــــاقـــــهـــــتـــــا ألـق

يســـــمـــــو بنـا ولجـــــرحـنـا يـأســـو

وقوله أيضاً:

وهـل يـكـون الحـب ذا قـــــيـــــمـــــة

إذا خـــــــــــلا مـن لـــذة الـــطـهـــر

فقيمة الحب عند العشماوي تكمن في لذة الطهر، والطهر لا يكون إلاَّ بعدم اللمس بينما الحب في نظر أبي ريشة، كما صوَّره لنا كأس خمر وخلوة غير شرعية.

فشتّان بين الاثنَين، ولا مجال للمقارنة بينهما لأنَّ الشاعر العشماوي يكاد ينفرد بلقب شاعر العفة والطهر والإيمان.

وإن كانت هذه حال الشاعر عمر أبي ريشة، فكيف بنزار قبَّاني الذي يقطر شعره جنساً وإباحية بشكل يقزز النفس ويؤذي مشاعر كل أنثى حيية؟

نظرة الشاعر العشماوي إلى الكون والحياة

عند قراءتنا لشعر العشماوي شاعر " العفة والطهر والإيمان" نجد نظرته للكون والحياة لم تخرج عن نطاق التصور الإسلامي، فقد التزم به أيما التزام كقوله في قصيدة "أغنية الصمت الرهيب" في ديوانه "إلى حواء":

فليست الدنيا لنا غاية

ومالنا في ظهورها من قرار

وقوله في" مهرجان الشوق"من ديوانه إلى حواء:

ولكننا لو سمونا على

رغائبنا لكسبنا الرهان

ويقول في مركب الأمل:

أدركتُ أنَّ حياة الناس مختبر

فمما تطيب لهمَّاز وحلاَّف

ويقول في "يارب عونك":

خطاي في الدرب بالإيمان ثابتة

فمما يزعزعها بغيٌ ولا زور

مني اجتهاد وسعي في مناكبها

ومنك يارب توفيق وتيسير

ويقول في أنشودة الفجر:

لا تحـــــــملـي الـهـم ولا تجـــــــزعـي

فـــــــالـلـه يـرعـانـا ويـكـفـــــــيـنـا

أقـــــــــدارنـا لـيـس لـنـا حـيـلـة

تـنـأى بـنـا حـــــــيـنـاً وتـدُفـــــــيـنـا

وقوله في "دبيب العروق" من ديوان " إلى حواء"

لـلـه نُـســــلِّـــم أمـــــرنـــــا

فـي كـل بـائـعـــــــــــة تـــبـــوق

ولـكـــــل شـــــيء مـنـــــتـــــهـــــى

إن طـال أو قـــــــــصـــــــــر الـطـريـق

ويقول في قصيدة "يا من تناديني":

إيمـانـــــــاً بـالـلـه روض فـــــمـــــا

يـذبـل فـــــيـــــه الـزهـر أو يـجـــــدب

ســـيـنـتـــــــــهـي المـــرء إلـى غـايـــة

وعـنـدمـــــا يـخـــــســـــر أو يـكـسـب

ويقول في "تأملات " في ديوان " صراع مع النفس":

أنا نطفة أصبحت إنساناً

فكيف جهلتُ قدري

ولمَ الترفع عن تراب

منه سوف يكون قبري

إنِّي لأعجبُ للفتى

في لهوه أو ليس يدري

أنَّ الحياةً قصيرةٌ

والعمر كالأحلام يسري

أماه ما أحلى الحيا

ةَ مع الهدى وصلاح أمر

فالدين أسمى منهج

والدين راحة كل فكر

وقوله في "هكذا الحياة":

كم تحمَّلتُ في الحياة عناءٌ

وتجرَّعتُ لوعتي حين تقسو

وتصبرت والتصبر خير

وهو من أسهم المصائب تُرس

وينادي صـــوت البـــشـيـــر أن أبشـــر

إنَّمـــــا الصـــــابرون في النَّاس رأس

بينمـــا رفـــرف الســـرور على أهداب

صـــوتٍ لـه مـــن الخـــــــــيـــر أس

هـكـذا ديـدن الحـــــــيـــاة فـطـوراً

مـــــــأتم مـــــــؤلـم وآخـــر عُـــرس

وقوله في "النهاية المريرة":

هكذا ..

ذكـــــرتنـي بـالخـــالق الحق الـقـديـر

هـــو شـــأن المـــرء فـــي دنـــيـــاه

.. مـــــجـــــهـــول المـصـــيـــر

يـتـــــفـــــانى يطـلـب الـدنيـا

.. ويـرضـى بـالـقـــــــشـــــور

رافـــــــــلاً فـي هـذه الـدنـيـا

.. بـأثـواب الحـــــــــبـــــور

ويقول في قصيدة " ابتسامة"

أيهـــــا البـــــائس هـذا اليـــــأس

.. والـوجـــــــــد عـــــــــلامـــــة

هـذه الـدنـيـــــــا ســـتـــــــخـطـو

هـــذه إلـــى دار الإقـــــــــــــامـــــة

وهكذا نجـد أنَّ نظرته للكون والحـيـاة لم تخـرج عن حـدود التـصـور الإسلامي لهما

وبعد هذه الرحلة الطويلة مع شاعر العفة والطهر والإيمان لنا أن نتساءل:

أين هو من شعراء عصره؟

هذا ما سأجيب عنه في الفصل القادم إن شاء الله.

الفصل العاشر

أين العشماوي

من شعراء عصره؟

صفحة بيضاء ١٨٨

أين العشماوي من شعراء عصره؟

للإجابة عن هذا السؤال أقول: إنَّ هذا الشاعر الشاب المؤمن استطاع بقوة إيمانه وصفاء عقيدته ورهافة حسه ونقاء سريرته وخصوبة خياله وسلامة لغته وقوة بيانه وعمق ثقافته ونضج موهبته أن يتقدم شعراء عصره من الشبان، ويصل إلى مرتبة كبار الشعراء؛ إذ بلغ شعره في الآونة الأخيرة من العمق والنضج ما يجعله يحتل هذه المرتبة بجدارة واقتدار، فمن روائعه التي ستخلده عبر الأزمان:

١- مأساة التاريخ.

٢- نطفة الفجر.

٣- مع منير الليل.

٤- خفقان قلب.

واسمحوا لي أن نتوقف قليلاً عند بعض هذه الروائع.

١ - مأساة التاريخ وقصة الحلاَّج

يعد ديوان "مأساة التاريخ " من أروع دووين هذا الشاعر المطبوعة؛ إذ استطاع فيه أن يطوِّع الشعر لرواية الأحداث التاريخية بطريقة تأملية فلسفية، ولعل أكثر ما يستوقف قارئ هذا "قصة الحلاَّج"، فقد كشف فيها حقيقة هذا الرجل الذي حاول الحداثيون وعلى رأسهم أدونيس وصلاح عبد الصبور أن يجعلوا منه بطلاً، وأنَّه رجل علم وفكر اضطهد واستشهد في سبيل التعبير عن رأيه بحرية.

مقارنة بين مأساة التاريخ ومأساة الحلاَّج

في الوقت الذي اعتبر صلاح عبد الصبور قصة الحلاَّج مأساة اعتبر عبد الرحمن العشماوي أنَّ ما قام به الحلاَّج من مآسي التاريخ، فكيف كانت نظرة كل منهما إلى هذه القصة؟

لقد نظر الشاعر عبد الرحمن العشماوي إلى قصة الحلاَّج نظرة المسلم المؤمن الغيور على دينه المحب له ولخالقه؛ إذ ملأ قلبه الإيمان بالله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد،وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لذا فإنَّ كل من يدَّعي الألوهية أو الحلولية فهو زنديق فاسق يستحق العقاب على هذا خاصة، وأنَّه تمكن من خداع العامة، وجعلهم يؤمنون بادعائه، فالحلاَّج كما روى لنا التاريخ هو:

أبو بعيث الحسين بن منصور الحلاَّج من مدينة البيضاء الفارسية، ونشأ بمدينة واسط، وانتقل إلى البصرة واستقر في بغداد، وهو صوفي متفلسف من الغلاة وادَّعى الاعتزال والإباحية والألوهية، وكان يقول بالحلولية أي بحلول الله في الأجسام، ويفسر هذا بقوله: " من هذَّب نفسه في الطاعة وصبر على الملذَّات والشهوات ارتقى إلى مقام المقرَّبين، ثُمَّ لا يزال يصفو ويرتقي درجات الصفاء حتى يصفو عن البشرية، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حلَّ فيه روح الإله الذي حلَّ في عيسى بن مريم، فإذا ما وصل الإنسان إلى هذه المرتبة أصبحت جميع أفعاله من فعل الله تعالى، وقد اعتبر الحلاَّج أنَّه ممن وصل إلى هذه المرتبة، وعبَّر عن ذلك بقوله " أنا الحق"، وقد شاع أمر الحلاَّج في خلافة المقتدر العبَّاسي وأفتتن به كثير من العامة يمثلون فرقة الحلاَّجية، ومن

مؤلفاته التي تثبت زندقته "طاسين الأزل "، و"اليقين"، و"الحياة الباقية"، و"القيامة"، و" القيامات".

هذا وقد كانت له صلة بالقرامطة الذين هدفوا تقويض الدولة الإسلامية، كما أنَّهم هاجموا بيت الله الحرام في موسم الحج، وقتلوا ثلاثين ألفاً من الحجاج، وانتزعوا الحجر الأسود من الكعبة المشرَّفة لصرف الناس عن الحج، هذا وقد أعدم الحلاَّج في عهد المقتدر بالله لتآمره على الدولة الإسلامية، ولزندقته وادعائه الألوهية، فقد أجمع العلماء على تكفيره.

وقد أثار دعاة التغريب، ومنهم الحداثيون قضية الحلاَّج وصوَّروها على غير حقيقتها، وذلك لإثارة الشبهة حول الإسلام، وموقفه من حركة الفكر.

ولمَّا كان صلاح عبد الصَّبور من دعاة التغريب، وممن تَبِعوا المذاهب الأدبية الغربية المتناقضة والمخالفة لديننا كالوجودية والماركسية وغيرها، فقد نظر إلى قصة الحلاَّج على أنَّها أزمة مثقف مع عصره، ولم ينكر عليه ادعاءه الألوهية والحلولية، بل صوَّر لنا في مسرحيته مأساة الحلاَّج أنَّ محاكمة الحلاَّج كانت محاكمة صورية ظالمة لم تعطه فرصة التعبير عن رأيه، فأصدرت الحكم عليه بالشنق ظلماً وزوراً وبهتاناً.

وإليكم بعض ما جاء في مسرحية مأساة الحلاَّج لصلاح عبد الصبور: إذ يقول على لسان الحلاَّج ـ لأحد مريدي الحلاَّج:

تأمل إن عشقت ألست تبغي أن تكون شبيه محبوبك

فهذا حبنا لله

أليس الله نور الكون

فكن نوراً كمثل الله ليستجلي على مرآتنا حسنه.

ويقول الحلاَّج لإبراهيم ـ أحد مريديه ـ عندما حذَّره من إقدام الشرطة على القبض عليه:إذ قال له إبراهيم: أخشى أن يدركك الكيد الظَّالم ماذا تنوي؟ (نلاحظ هنا أنَّه قد صوَّر بهذه المقولة أنَّ الحلاَّج مظلوم، وأنَّ الدولة قد ظلمته.)

فيقول الحلاَّج

ما يرضاه الرحمن لمخلوقٍ في صورته ذي روح متصف بصفاته.

فهنا إقرار من صلاح إدعاء الحلاَّج الحلولية، ومع هذا لم ينكر هذا عليه، مع أنَّ هذا كفر وإلحاد.

ولننتقل الآن إلى الشاعر العشماوي، وكيف روى لنا قصة هذا الزنديِّق: فيقول على لسان التاريخ:

ثُمَّ يمَّمتُ المدينة (١)

وإذا رأس على جذعٍ كبير

علَّقوه

رأس من هذا؟؟

وصاح القوم حولي:

أو ما تعرفه؟

---

(١) يقصد بغداد.

إنَّه الحلاَّج

شيخ طريقة

إنَّه الصوفي

ما أزهده.

بل هو الزنديق.

يدعو بالحلول

وأحاط النَّاس به.

بعضهم

يلعنه يلعن فعله.

بعضهم

يحمده يحمد عقله

الصوت:" ممتعضاً".

أيها التاريخ.

قد صيَّرتني

يا تُرى.

ما مذهب الشيخ الشَّقي.

التاريخ:

أيُها الصوَّت.

تمهَّل

فلقد حيَّرني ما صنع القومُ به.

وتساءلت.

في قلبي من الحيرة نارُ

به ترى

ما مذهب الشيخ الشِّقي؟

ودنا منِّي عجوزٌ ثُمَّ قال:

أيُّها السَّائلُ سجِّل: كان هذا الشيخ زنديقاً وصوفياً معاً

كان شيعياً إذا جاء إلى دار الخليفة

وحلولياً إذا ألقى دروسه

آه لو تقرأ "طاسين الأزل"، و"اليقين"، و"الحياة الباقية"، و"القيامة والقيامات "، وبعض الكتب

أيها السائل:

إنَّ الشيخ قد ضلَّ، وقد نال جزاءه، وقصارى القول: إنَّ الشيخ لو لم يتزندق ما تحرَّق.

وسراة القوم لو لم يتمادوا في الهوى لم يردوا في الناس من يمقتهم بعضهم يعذِّبه الله ببعض.

أيُّها السَّائل:فاعلم.

الصوت: أصحيحٌ ما تقول؟!

فلماذا .بعضهم يرفع قدره.

لعنوا من أجله المقتدرا

ورأوا أنَّ يد الظُّلم

قد امتدت إليه.

فمضو يبكونه

ويُذيبون على مأساته أكبادهم.

ولعلَّ الشَّاعر يقصد بهؤلاء أمثال صلاح عبد الصَّبور.

وبعد هذه المقارنة بين نظرتيْن لصلاح عبد الصَّبور الشاعر الحداثي الوجودي وبين عبد الرحمن العشماوي شاعر العفة والطُّهر والإيمان اتضحت لنا نتائج التأثر بالمذاهب الأدبية الغربية الحديثة؛ إذ جعلت البعض منا يمجِّد من يتجرأ على الذَّات الإلهية، ويدَّعي أنَّه متصف بصفات الله، بل هناك من رثى الحلاَّج مثل أدونيس؛ إذ يقول في مرثية للحلاج:

يا كوكباً يطلع من بغداد.

محملاً بالشعر والميلاد.

وبهذه المقارنة اتضح لنا أيضاً تفوق الشَّاعر العشماوي على صلاح عبد الصبور، ليس فقط من حيث المضمون، ولكن من حيثُ الصياغة الفنية، ومجال

التعبير، وعمق التصوير، وفوق كل هذه نقاء العقيدة، وصفاء الثقافة من كل شوائب التغريب والإلحاد.

وممَّا يؤسف له أنَّ مأساة الحلاَّج لصلاح عبد الصبور قد مُثِّلت على المسرح، واعتُبرت من روائع المسرح الشعري، وهذا يعكس لنا أنَّ سيادة مذهب البرناسية (الفن للفن)، قد عمَّت الأرجاء، وأصبحت تقرِّها بعض الجهات المسؤولة دون أن تعترض على معارضته للدين، فبالرغم ممَّا في هذه المسرحية من كفر وإلحاد دون إنكار، بل اعتبار الزنديق بطلاً ومظلوماً، فإنَّ هذه المسرحية قد عرضت في التلفاز المصري، وربما عرضت في دول عربية أخرى.

٢- نطفة الفجر

رائعة أخرى من روائع هذا الشاعر أبدع فيها أيما إبداع، وهي قصيدة تأملية فلسفية تأمل فيها شاعرنا الكون وما فيه من تآلف وعشق؛ إذ سجَّلت الآفاق أروع قصة من العشق بين السحائب والزَّهر؛ فتمد السحب الزهر بالماء الذي به يزهو وينتعش، وكم كان تصويره رائعاً لهذه القصة فكانت لوحة إبداع، ثُمَّ ينتقل إلى البحر ليصور به ما تعج به نفسه من مشاعر متوهجة كالأمواج المتلاطمة، وهو يتأمل واقعنا المؤلم وجاءت هذه لوحة إبداعية أخرى، ثُمَّ صوَّر أحوال النَّاس وضلالهم، وانقلاب الموازين لديهم بلوحة إبداعية أخرى، والحقيقة أنَّ هذه القصيدة قد امتلأت، بل احتشدت بالمعاني والصور الجديدة المبتكرة مثل: نطفة الفجر، ونخل الحنان بلا تمر، وغيوم السَّماء عوانس تفتش عن دفء الغرام، وتشبيه عمق التأمل بالبئر، وقوله: عن الليل يضعف في كبر ضفار شعره فتتكشها بعد العناء يد الفجر.

ويقضي لسان الأرض بالحمد والشكر، وقوله: ولا تنفثي في أدمعي طاقة القهر.

وتلبس ساعاتي ثياب تباطؤ فأشعر أنَّ اليوم يهزأ بالشهر

وأنَّ الأرضَ من تحتنا تجري.

وتصنعها كفُّ الشتاء دوائر من الثلج تدحوها أكفٌّ من القُرِّ

كما امتلأت القصيدة بالمعاني العميقة التي كشفت لنا عن نضج موهبة وعمق تجربته؛ إذ زانتها الحكم التي جعلت من شاعرنا الشَّاب فيلسوفاً حكيماً، ومن الحكم التي وردت في هذه القصيدة:

إذا استعذب الإنسان طعم ضلاله

فسوف يذوق المر في ساحة الحشرِ

وأنَّ ثراء المرء ليس علامة

على صدقه فالفاتك اللص قد يثرى

وأنَّ غنيَّ النَّفسِ أقوى من الفقر

وصار غُرابِ البين فيه حمامة

وصارت بغاث الطَّير تهزأ بالنِّسرِ

إشارة هنا إلى انقلاب موازين البشر في هذا الزمن.

كأنَّ فناء النَّاس يعني بقاءهم

ورحلة هذا العمر تعني مدى الدَّهرِ

وإشارة إلى تكالب النَّاس على الدُّنيا وظلمهم للمستضعفين والشاعر في هذه القصيدة لم يتملكه اليأس رغم سوء الأحوال فقوة إيمانه بالله جعلته يؤمن بأنَّ الله ينصر دينه، وكل من يجاهد من أجل إعلاء هذا الدين، لذا كان لديه أمل في أنَّ ظلمة الليل تحمل في أحشائها "نطفة الفجر":

إذا كـــان من عُـــســـرٍ علينا فـــإنَّنا

لنؤمن أنّ العُـــسـر يفـــضي إلى يُسْـــرِ

٣- مع منير الليل

هي ملحمة شعرية يصوِّر فيها الشَّاعر حال الأمة الإسلامية، وما آلت إليه، وذلك بصور إبداعية غنية بالروعة والجمال والعمق والصدق وقوة العاطفة، وهي لا تقل روعة عن نطفة الفجر إن لم تتفوق عليها، إذ استطاع فيها أن يتفوَّق على نفسه، وعلى كثير من الشعراء في مختلف التصوُّرات تعد هذه الملحمة من روائع الشعر العربي، فتعالوا نبحر معاً في أعماق هذه الملحمة لنستخرج بعض لآلئها، ومن تلك اللآلئ.

كـــأنَّنا في مـــدار الشـــمس مـــركـــبـــة

للنور منهـــا فـــؤاد الشَّـــمسِ ينبـــهـــرُ

أليس فـــــينا كـــــتـــــاب الله يمنحـنا

نـوراً بـه ظـلـمـــــــــات الـشِّـــرك تـنـدثـرُ

نرقي به في سـمـاء المجـد يرفـعنا

من كلِّ سـاقطةٍ يشـقى بهـا البـشـرُ

ففي البيت الأول لؤلؤتان: أولاهما:

أنَّ البشر مركبةٌ في مدار الشمس، وثانيهما: فؤاد الشَّمس.

أمَّا البيتان الثَّاني والثَّالث فهما عقد من أثمن الجواهر تزين به جيد هذه الملحمة، وتكمل نظم هذا العقد هذه الأبيات:

بحـارُنا يا منيـر الليل مـائجـةً

ومـالنا فـوقـهـا غـيمٌ ولا مطـرُ

آثار أعـدائنا في أرضنا كـثـرت

ومـا لإقـدامـنا فـي أرضنـا أثـرُ

أفكـار أعـدائنا فـينـا منفـذةٌ

ونحن أفكارنا في الرَّأسِ مـخـتـمـرُ

نبني قـصـوراً من الأوهام سـامـقـةً

وقلعـة الحقِّ لم يوضع لهـا حـجـرُ

وهنا نجد درراً قد انتظمت في عقد فريد فهاكم نظمها:

يا غـابة الخـوفِ مـالي فـيكِ من وطـنٍ

وإن تكاثر في أنحـائك الشـجـرُ

أغـــفلتُ مـــعناك من نفْـــسي فـــلا أذنـي

تُصـــــغي إليك ولا يـرتادك البـــــصـــــرُ

وكـــيف يسكن خـــوفٌ قلب مـــتَّـــصلٍ

بـالله يـرضـــــا بما يـأتـي بـه الـقـــــدرُ؟

ويزين الشاعر معصم هذه الملحمة بسوار من الزمرد الأخضر ليطرد به اليأس ويحيي الأمل في النفوس، فإذ به يختم الملحمة قائلاً:

قـــال الهـلالُ وفـي عـــينيّن غـاشـــيـــةٌ

مـن النُّعـــــاسِ وفـي أضـــــوائهِ حـــــذرُ

يـلـقـى الـعـــــــدو لـه مـن هـزلـكـم سـنـداً

لـكنَّـه حـين يـلـقـى الجـدَّ يـنـدحـــــــرُ

تمد قـــامـتـــهـــا الظلمـــاء في صلفٍ

لكنَّهـــا حين يدنو الفـــجـــر تنحـــسـرُ

كـــــذلك الـظـلـمُ يُلقـى ســـــيف سلطنه

إذا رآنـــــا بـــــأمـــــر الـلـــه نـــأتمـــرُ

٤- خفقان قلب

يؤسفني عدم إفاء هذه القصيدة حقَّها؛ إذ تعذَّر عليّ الحصول على نصها الكامل، فلا يوجد لديَّ إلاَّ المقطع الذي أورده الشَّاعر العشماوي في لقاء ملحق الندوة الأدبي معه، والذي نشر بتاريخ ١٤٠٧/١/١٠هـ، وقد تحدَّث فيه عن مناسبة هذه القصيدة، فقال: " القصيدة جاءت من تجربة واقعية .أقلام غير منصفة كتبت عني اتهمتني . اتصال هاتفي حمل إليَّ كلاماً يسارياً إلحادياً آلمني، كل ذلك أنبت في قلبي شجرة حزن .أثمرت هذه الشجرة هذه القصيدة:

شكت نفسي وألجمني حيائي
وألجأني السكوتُ إلى البُكاءِ
إذا شاهدت للباغي بريقاً
فلا يغْررك إتقان الطَّلاءِ
وما جدوى الجمال لذات حسن
إذا باعته في سوق البغاءِ
وما نفع العقول إذا سلكنا
بها درب اللجاجة والمراءِ
وشرُّ النَّاسِ من يجترُّ قولاً
بغيرِ تدبُّرٍ كالببغاءِ

صفحة بيضاء ٢٠٢

الخاتمة

صفحة بيضاء ٢٠٤

الخاتمة

وبعد: هذه الرحلة التي جبنا خلالها دوحات هذا الشاعر ورياض شعره الغناء التي تعبق بشذا الإيمان، وعبير الطهر، وأريج العفاف، وتنشرها في الآفاق، وفي سائر الرياض نسائم رقيقة بثَّتها عواطف وأحاسيس ندية لي أن أقول كلمة، وهي:

أنَّ بذور الإيمان التي تنبتُ في قلب وعقل ونفس ووجدان هذا الشاعر، والتي سقتها ورعتها أمه، وعمَّقت جذورها قريته "عراء" بصفائها ونقائها، ثمَّ تعهَّدتها ثقافته الإسلامية، فاخضوضرت، وأورقت وأثمرت ثماراً خيِّرة ناضجة، فأصبحت روضة غنَّاء ثرية بأشهى الثِّمار، هذه البذور هي كانت مبعث هذا الثراء في الفكر، وفي الموضوعات، وفي المضامين، وفي العفة، وفي الصور الفنية الرائعة، والصور البيانية المبدعة، وهي التي كانت مبعث تلك الأحاسيس المتدفقة، والعواطف الصادقة، والمشاعر الندية، وجعلته يستحق بجدارة لقب شاعر العفة والطهر والإيمان؛ إذ هذَّب الإسلام عواطفه، وضبط الإيمان أحاسيسه، فارتقى بهما إلى مراتب عليا من الطهر والعفاف تصمد أمام الأهواء رغم رقتها، وتقادم الأعاصير رغم شفافيتها، وفي الوقت ذاته تنهل من ينابيع الطهر والعفاف ما يروي ظمأها.

إنَّني أحمل قلباً خافقاً

ليت قلبي للهوى لم يخفق

حـــــبي الطـاهـر أســـــمى هـدفـــــاً

فـــــأعـــــيـــــذ بـه بـربِّ الـفـلـــق

أُشـــــهـــــدُ اللهَ علـى عـــــفـــــتـه

وعـلـى الـطـهـــــــر وحُـــــــسن الخـلـق

أرفـــض الحـــب الـــذي يـــنـــكـــره

خُلـقي فـــالحبُّ إحـــســـاس نفـــسي

وهكذا نجد أنّ التزام هذا الشاعر بالتصور الإسلامي جعله يُحلِّق في سماء الإبداع متفوقاً به على أقرانه، بل على كثير من الشعراء، لأنَّه نادراً ما نجد شاعراً التزم بهذا التصور كالتزام الشاعر العشماوي، فهو بهذا الالتزام كوَّن بشعره مركبة للنور تسبح في الفضاء ليسطع نورها كل الآفاق مبدداً من نفوسنا ظلمات اليأس؛ إذ يقول لنا أنَّه برغم الحملات المكثفة علينا لغزونا فكرياً،ورغم خضوع معظمنا لهذا الغزو والاستسلام له إلاَّ أنَّ هناك منا من يقاوم هذا الغزو، لأنَّ قوة إيمانه بالله أقوى من كل جحافل الأعداء ومغريات الحياة، وأنَّ بريق الإيمان يفوق البريق الزائف للشعارات والألفاظ.

ومهما حاول المغرضون أن يقللوا من قيمة هذا الشاعر، إذ يتهمونه تارة بالتقليد، وتارة أخرى بالخطابية إيعازاً منهم بأنَّ الشعر الإسلامي شعر جامد، فإنَّ شمس هذا الشاعر ستسطع في سماء الأدب لتبدد كل ظلمات التغريب والشرك والإلحاد والوثنية من ساحتنا الأدبية.

يقـــولون فـي شـــعـــري وضـــوح وحكمـــة

وذلـك أســـــمـى مـــــا يُقـــــال وأرفـع

يقـــــولون فـي شـــــعـــــري رنين خطـابـة

ولـو ســـمـــعـــوا دقَّـــات قلبـي لأقلعـــوا

أمـــا علمـــوا أنِّي أصـــوغُ مـــشـاعـري

وأنِّـــي عـــلـــى أوتـــار قـــلـــبـــي أوقـــع

وأنَّ فـــــؤادي كنـز حبٍّ وحـــــســـرةٍ

يُبـــيح لشـــعـــري مـــا يشـاء ويمنـعُ

وفـي القلب أصل الشـوق والحـزن والرضـا

ومـن أصلـه أغـــصـــان شـــعـــري تفـــرَّع

ولكن إيمان هذا الشاعر سيجعله يصمد أمام أقاويل المغرضين، ويواصل مسيرته الإبداعية:

إن كـــان مـــولاهـم الشـيطان يـدفـــعـــهـم

إلـى الضـــغـــائن فـــالـرحـــمـن مـولانـا

وفي ختام هذا البحث أقول: عليِّ استطعتُ في هذه الدراسة المتواضعة أن أقدم نموذجاً للشعر الإسلامي وإخضاعه لدراسة نقدية وفق نظرية التصور الإسلامي التي يجب أن تكون قاعدة النقد والتقويم لكل الأعمال والفنون؛ إذ علينا ألاَّ نفصل الدين عن الأدب.

هذا وقد يلاحظ القارئ الكريم أنَّني لم آخذ على الشاعر سوى مأخذاً واحداً، والحقيقة أنَّني لم أجد ما آخذه عليه؛ إذ بهرني عمق إيمانه، وفيض طهره وعفافه، فهذه قيمة، في نظري لا تعادلها قيمة أخرى، وأعتقد أنَّه لا يوجد شاعر ملتزم إلاَّ واستسلم في لحظات ضعف للهوى، فقال شعراً ما لا ينبغي أن يقوله، ولكن هذا الشاعر كان في كل الأوقات والحالات، وفي غمرة فيضان أحاسيسه ووجده يذكر خالقه، ويخافه ويراقبه، ويحرص كل الحرص على ألاِّ يبدر منه ما يغضب الله فيعف:

ولا تحسبي أنَّ حبي سوف يجعلني
أقُرُّ نفسي على عصيان خلاَّقي
يا وردة ما استطعت ألمسها
أخشى أن يفقدها اللمس
للطهر في أعماقنا ألق
يسمو بنا ولجرحنا يأسو
حب فإن مسَّسته كفُّ الخنا
فقد غدا ضرباً من العهر
وهل يكون الحب ذا قيمة
إذا خلا من لذة الطهر
حبي الطاهر أسمى هدفاً
فأعيذه برب الفلق

أشـهـــــــد الـلـه عـلـى عـــــــفـتـــــــه

وعـلـى الـطـهـــــــر وحـــــــسـن الخـلـق

أرفـض الـــــحـب الـذي يـنـكـــــــــره

خـلـقـي فـــــــالحـب إحـــــــسـاس نـقـي

هذه مـقـاطع من روائع ترانيم الطهـر، فـمـاذا آخـذ عليـه، وهو بكل هذا الإيمان، كم أتمنى أن يتحلى به كل مسلم!

وها هو قـد تحـقق مـا كنت أتمنى، هذا وإن كـان قـد خـرج عن القـصـيـدة العمودية في بعض قصـائده، أجده غير مقلد لشعراء الحداثة، فهو مبدع دونما تقليد، ومـحافظ على أصالته وقيمه ومبـادئه، ونجده كتب الروائع مثل: "مأساة التاريخ "، و"حدق في وجه الظلماء "، و"ندما يهب نسيم الصفا".

وأخيراً أقول: إنَّ قوة إيمان هذا الشـاعر هو مـصـدر إبداعه، ومادام بهذا الإيمان، فهـو بإذن الله سـيصل إلـى المعـالي مهـمـا حـاول المغرضـون إبعـاده عن الأضواء والتقليل من شـأنه، وكم أتمنى أن يتبوأ هذا الشـاعر المؤمن المكانة التي يسـتحـقـهـا، وأن يشـارك في المهـرجـانات الشـعـرية والأدبيـة التي تقيـمـهـا البـلاد العـربيـة، فـهـو خـيـر من يمثل أمـة القـرآن، فـفـي شـعـره تقـوى وعفـاف وتقـويم وإصلاح وحلاوة وإبداع.

توصيات الدراسة

بعد هذه الدراسة المتواضعة لشعر الشاعر الكبير الدكتور عبد الرحمن العشماوي أوصي بالآتي:

١- ترجمة شعر الشاعر عبد الرحمن العشماوي إلى مختلف اللغات، فهو خير معبر عن تاريخ وقضايا أمتنا، وخير مثل للشعر الإسلامي،لتبلغ رسالته للأمم الأخرى، وحري بنا أن نفخر بهذا الشاعر "شاعر العفة والطهر والإيمان" الذي أنجبته أرض الحب والخير والعطاء.

٢- أن تكرِّمه الدولة وترعاه، فهو ثمرة طيبة من ثمار الخير طرحتها غرسة تطبيق الشريعة الإسلامية من قبل حكَّام هذه البلاد.

المصادر والمراجع

صفحة بيضاء ٢١٢

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، ط٩، ١٤١٧-١٩٩٧م، دار المعرفة، بيروت -لبنان.

٣- سيد قطب:في ظلال القرآن، ط١٧،١٤١٢-١٩٩٢م،دار الشروق، بيروت - القاهرة.

٤- د. عبد الحمن رأفت الباشا:نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي، قبرص.

٥- رابطة الأدب الإسلامي، مكتب البلاد العربية، من الشعر الإسلامي الحديث، ط١،١٤٠٩ الحديث -١٩٨٩م، دار البشير، عمّان - الأردن.

٦- د. عبد القدوس أبو صالح، د. محمد رجب اليومي: من شعر الجهاد في العصر الحديث، ط٢،١٤١٣-١٩٩٣م،مؤسسة الرسالة، بيروت -لبنان.

٧- سهيلة زين العابدين حمّاد: إحسان عبد القدوس بين العلمانية والفرويدية، ط١،١٤١١-١٩٩١م، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

٨- صلاح عبد الصبور:ديوان صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت.

٩- أدونيس:الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت.

١٠- أمل دنقل: الأعمال الكاملة، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر.

١١- محمد قطب:منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت.

١٢- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، بيروت.

١٣- ابن منظور: لسان العرب.

دووين الشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي:

١٤- ديوان إلى أمتي.

١٥- إلى حواء.

١٦- بائعة الريحان.

١٧ - قصائد إلى لبنان.

١٨- حوار فوق شراع الزمن.

١٩- صراع مع النفس.

٢٠- شموخ في زمن الانكسار،الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، مكتبة العبيكان، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٢١- جولة في عربات الحزن، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢٢- عندما يئن العفاف،الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية

٢٣- ديوان عمر أبي ريشة، دار العودة ـ بيروت.

٢٤ - ديوان صلاح عبد الصبور، المجلدان الأول والثاني، دار العودة، بيروت.

٢٥- أدونيس، الأعمال الكاملة، دار العودة بيروت.

٢٦- سهيلة زين العابدين حمَّاد:الجزءان الأول والثاني من فكر توفيق الحكيم تحت مجهر التصور الإسلامي، لم ينشر بعد.

٢٧- عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، سنة ١٣٩٩هـ.

٢٨ - أنور الجندي: شبهات التغريب،المكتب الإسلامي، دمشق ـ بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٢٩- أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة ـ مصر.

٣٠- علي خليل أبو العينين: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي.

٣١- مجلة كلية اللغة العربية، العددان الثالث عشر والرابع عشر، ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٢- ملحق الندوة الأدبي، الأعداد الصادرة في: ٢٠ شعبان سنة ١٤٠٦هـ، ١٠ محرَّم سنة ١٤٠٧هـ، ٢٨ جمادي الآخرة سنة ١٤٠٦هـ

٣٣- الأربعاء العدد ١٨٣، ٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٧هـ.

٣٤- مجلة الحرس الوطني، العدد ٢٩ جمادي الأولى سنة ١٤٠٦هـ.

٣٥- مجلة الحرس الوطني: العدد ٣٧ ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ.